المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

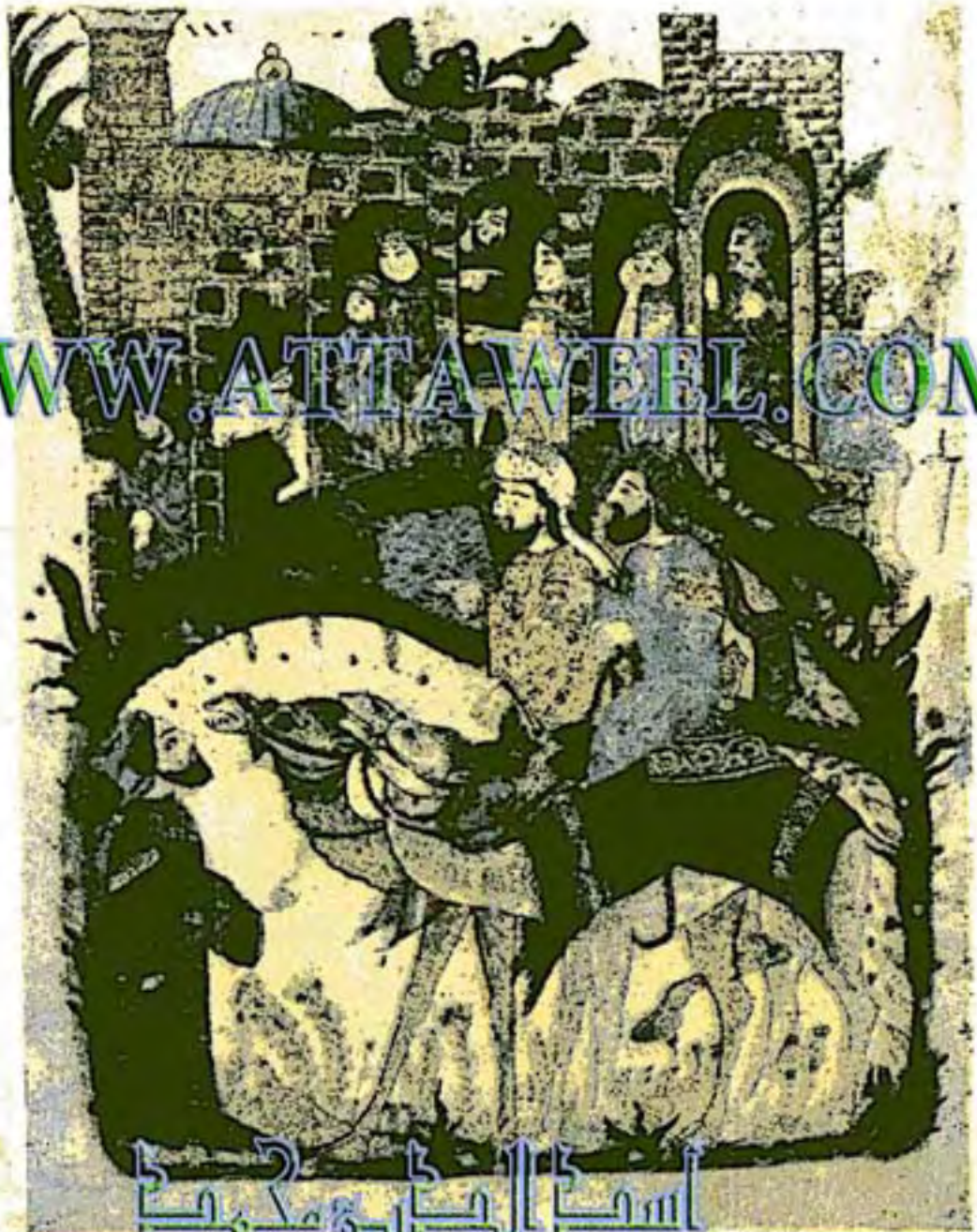

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الحلبة محمد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق
المجلد السابع والعشرون ـ العدد الاول ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م

تقويم جديد لجهود حماد الراوية في رواية الشعر العربي ونقده

د . زكي ذاكر الفجر العاني

كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية

اود في البدء ان أشير الى دراستين تناولت سيرة حماد الراوية وروايته للشعر احداهما للاستاذ السيد يعقوب بكر وقد نشرتها مجلة الرسالة المصرية سنة ١٩٤٥ في بضعة اعداد تبدأ بالعدد ٦٤٣، والاخرى ـ وهي أكثر إختصاراً من سابقتها وردت ضمن كتاب مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الاسد الذي صدر سنة ١٩٥٦، وتأتي دراستي هذه مكملة للدراستين المذكورتين ومشتملة على وقفات مختلفة او مغايرة في بعض المواضع لما في الدراستين القيمتين المذكورتين .

من هو حماد الراوية ؟

هو أبو القاسم حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد المشهور بحماد الراوية[١] . وقيل بل هو حماد بن سابور بن المبارك بن عبيد ، وكان سابور يكنى بابي ليلى . ولذلك نجد في بعض المصادر انه حماد بن أبي ليلى[٢] . وثمة رواية ثالثة تؤكد انه حماد بن هرمز وان والده هرمز كان من سبي مكنف بن زيد الخيل او من سبي ابن عروة ابن زيد الخيل[٣] . كان حماد ديلمي الاصل ، شيباني الولاء عربي اللسان والنشأة والتربية والثقافة . وللعرب حبه ووفاءه وفي كنفهم عاش وترعرع . وصلاته الوطيدة بخلفاء بني أمية وتقريبهم له يدل على انه لم يعرف العصبية على العرب وحكمهم فهو إذاً عربي وان لم يكن ذلك من حيث النسب .

ولد حماد سنة ٧٥هـ[٤] وفي رواية اخرى سنة ٩٥هـ[٥] .

وتصوره لنا المصادر في مطلع شبابه يصحب الصعاليك . وتذكر انه نقب على* رجل ، فاخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الانصار ، فقرأه واستحلاه وتحفظه ـ كما تقول الرواية ـ ثم طلب الادب والشعر وأيام العرب ولغاتها بعد ذلك وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ[٦] .

ولا نميل الى تصديق هذه الرواية التي تبين لنا ان شغف حماد بالشعر واللغة كان بعد ان اطلع على شيء من ديوان الانصار . ونعتقد ان الاخباريين حين جهلوا نشأة حماد وسيرته أيام شبيبته تعلقوا بذلك الخبر الذي يصور حماداً صعلوكاً من صعاليك العرب ، يشارك رفاقه في غاراتهم وتاراتهم قاطعاً الطريق على من يحسبهم سبباً في بؤسه وشقائه ومحنته . ثم فجأة يتغير مسار حياته وتتبدل سيرته ، فيغدو طالب علم ومعرفة معنياً

*نقب عن الشيء فحص عنه فحصاً دقيقاً .

بأشعار العرب ولغاتها وأيامها وأنسابها ، بل شهاباً ساطعاً في ميدان الأدب واللغة ، اقول إن ما يرجح على سواه في هذا الصدد انّ حماداً شغف بالعلم منذ الصغر ، وانه نشأ نشأة علمية : فحفظ الشعر . وروى اللغة عن العرب الفصحاء . واختلف الى حلقات العلماء الذين لم تذكر لنا المصادر اسماءهم . وبذلك من ذلك اظهرته لنا بلا ماض ولا شيوخ ومن غير مصادر . اشتهر حماد بكثرة الحفظ ، فقد قيل : ان الوليد بن يزيد قال له : بم استحققت هذا اللقب ، فقيل لك حماد الراوية ؟ قال : لاني أروي لكل شاعر يعرفه أمير المؤمنين أو سمع به ، ثم أروي منهم ممن تعترف بانك لا تعرفهم ولا سمعت بهم . ثم لا أنشد شعراً لقديم او محدث الا ميزت القديم منه من المحدث : قال ان هذا العلم وابيك كثير فكم مقدار ما تحفظ قال : كثير ولكني انشدك على اي حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية قال : سامتحنك . وامره الوليد بالانشاد . وانشده حتى ضجر الوليد[٧] . وفي رواية اخرى انه قال للوليد بن يزيد : أروي سبعمائة قصيدة اول كل واحدة منها بائت سعاد[٨] . وعلى الرغم من هذه المبالغات فان مما لاريب فيه ان حماداً تفوق على علماء عصره بكثرة الحفظ وسعة الروّية .

حظي حماد بالتقدمة والتقدير من خلفاء بني أمية فقربوه وآثروه على سواه . وكان كثير الوفادة عليهم ، وكانوا يسألونه عن الاشعار ويستنشدونه اياها فينشدهم فيجزلون صلته . وكان منقطعاً الى يزيد بن عبد الملك . وقد ظلت صلته بالدولة قائمة بعد تولي هشام بن عبد الملك الخلافة . فقد أجزل له العطاء ، واحسن الصلة ، وانزله منزلة رفيعة ، وحظي بالتقدمة من الوليد بن يزيد . وكان يستمع اليه كثيراً[٩] . ولم يتصل بالخلفاء العباسيين من بعد ولا دنا من مجالسهم . ويقال : إن جعفراً بن أبي جعفر المنصور حين ذكر له حماد قال لمن حدثه عنه : ائتنا به لنراه ، فأجاب حماد سائله : « دعني فان دولتي كانت مع بني امية . ومالي عند هؤلاء خير »[١٠] .

تبوأ حماد مكانة مرموقة في تاريخ الادب العربي ، فحظي باحترام معاصريه من العلماء وتقديرهم له - ما خلا أحدهم - اولئك العلماء الكبار الذين عرفوا عن كثب ما كان عليه حماد من ذكاء لماح وبصر نافذ وحافظة مسعفة . فاثنوا عليه بالذي هو اهل له ، وقد وصفه راويته الهيثم بن عدي بقوله : « ما رأيت رجلاً اعلم بكلام العرب من حماد »[١١] . ووصفه معاصره الشاعر الطرماح بن حكيم بانه « اذكى الناس وأحفظهم »[١٢] . اما تلاميذه الذين اخذوا عنه العلم فكثر . نذكر في مقدمتهم خلفاً الاحمر ، والهيثم بن عدي وابا عمرو الشيباني ، وهشاماً الكلبي ، والاصمعي ، ومحمد بن كناسة . وقد تطول القائمة ، فيدخل فيها المفضل الضبي وابن الاعرابي واخرون[١٣] ، بيد ان حماداً تعرض لحملة عنيفة بعد وفاته بقرن ومن لدن رواة بصريين ، عاشوا في القرن الثالث الهجري قرن تأجج الخصومات والنزاعات بين علماء البصرة والكوفة ، وقيلت في شانه أقوال متناقضة ، تدعو الباحث الى ان يتوقف عندها ويمحصها ليعرف اصلها وحقيقة الدوافع التي دفعت اصحابها الى اطلاقها . وقد حمل الينا ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء احكاماً في حماد كلها في الاساءة اليه والانتقاص منه . وكان ابن سلام ينقل هذه الاقوال والاحكام عن استاذه يونس بن حبيب . فحماد من وجهة نظر يونس « غير موثوق به » و« يزيد في الاشعار » ، و« يكذب ويلحن ويكسر »[١٤] وانه لمن المدهش ان نصدر هذه الاقوال عن يونس العالم البصري المعروف ، ومن الغريب ان ينقلها ابن سلام من غير احتياط او تحفظ فيما ينقل او يروي . ولكننا هنا لا نحب ان نناقش اقوال يونس في حماد كما اوردها ابن سلام . وترى ان نمضي خطوات في البحث قد توصلنا في شأن حماد وروايته الى يقين . واذا ظهر لنا من بعد ان حماداً على عكس ما يصفه يونس بن حبيب ، استطعنا ان نرد اقوال يونس في حماد ونرجعها الى خصومة شخصية بين رجلين متعاصرين متنافسين احدهما كوفي والاخر بصري .

اما اذا ظهر لنا صحة اقوال يونس بن حبيب تلك ، وان ثمة ما يؤيدها ويعززها ثبتنا ذلك وأكدناه من غير تجن على الرجل وعلمه ، فنحن لا نرغب في ان نقرر أمراً من غير بيّنة او دليل ومن غير ان نقيم الحجة والبرهان على صحته . قلنا ان حماداً حظي باحترام معاصريه وتقديرهم له . ومن معاصريه شيخ جليل من شيوخ العلم في البصرة هو ابو عمرو بن العلاء رأس علماء البصرة في اللغة والادب واحد القراء السبعة وموقفه من حماد يبينه لنا ابو عمرو الشيباني تلميذ ابي عمرو وحماد معاً . قال الشيباني : « ما سالت ابا عمرو بن العلاء قط عن حماد الّا قدمه على نفسه . ولا سالت حماداً عن أبي عمرو الا قدمه على نفسه »[١٥] . فمن غير المعقول ان يقدم ابو عمرو هذا العالم الزاهد الورع على نفسه رجلاً « غير موثوق به » و« يكذب ويلحن ويكسر » . والعالم البصري الاخر الذي كان يجل حماداً ويثق به هو خلف الاحمر . وقد تتلمذ لحماد . وكانت صلته به وثيقة وقوية ومتينة . كان كثير الاخذ منه كثير الصحبة له . وقد ذهب اليه من بلدته البصرة الى الكوفة ليستقي منه وقد قيل : انه « بلغ مبلغاً لم يقاربه حماد »[١٦] . وسواء أكان المقصود ان خلفاً قد برّ حماداً في

الرواية وحماد حي أم انه بلغ بعد وفاة حماد مبلغاً لم يكن حماد قد بلغه ، فان الذي لا نرتاب فيه ان حماداً ظل شاهقاً وكبيراً في عالم الرواية ، وانه تميز من معاصريه بكثرة الحفظ وسعة الرواية واتقانها ، وهذا مشهود له . وهو به معروف . ويستوقفنا في صدد الصلة بين خلف وحماد قول يعزى الى خلف هو قوله : « كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب واعطيه المنحول . فيقبل ذلك مني ويدخله أشعارها . وكان فيه حمق »[١٧] . وهذه حقاً رواية غريبة فهي من جهة صيّرت التلميذ يطعن في أستاذه ويصغر من شانه . وهي من جهة اخرى اظهرت الشيخ مغفلًا جاهلًا . فحماد على وفق هذه الرواية لا بصر له بالشعر ، فهو يروي ما لايصح من الشعر ظاناً انه شعر سليم غير منحول . فمن أجل تفهم الاجواء التي اسندت فيها أقوال الى علماء هم براء منها نعرض شيئاً مما يصور لنا مدى ما بلغه التعصب البلدي عند بعض اللغويين والرواة : فثعلب يرى انه « لولا الفراء ما كانت عربية لانه حصنها وضبطها »[١٨] . ويقول في ابي عمرو الشيباني « كان مع ابي عمرو من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة »[١٩] . ويقول ابو بكر الانباري : « لو لم يكن لاهل بغداد والكوفيين من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس ، اذ انتهت العلوم اليهما »[٢٠] ، والرياشي من العلماء البصريين يقول مفاخراً بعلماء بلدته غاضاً من شان علماء الكوفة : « انما اخذنا اللغة من حرشة الضباب واكلة اليرابيع . وهؤلاء اخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشوارز »[٢١] ، وابو حاتم السجستاني يقول : « فاذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها او حكيت عن العرب شيئاً ، فانما أحكيه عن الثقات منهم مثل أبي زيد والاصمعي وأبي عبيدة ويونس ، وثقات من فصحاء الاعراب وأهل العلم ولا التفت الى رواية الكسائي والاحمري والاموي والفراء ونحوهم واعوذ بالله من شرهم »[٢٢] ، والكسائي في نظر البصريين « دنا من الخلفاء ، فرفعوا ذكره . لم يكن شيئاً . وعلمه مختلط بلا حجج او علل »[٢٣] . وهو قد « صار الى بغداد فلقي اعراب الحطمية فاخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن »[٢٤] . اما خلف فبسبب احذه الشعر من حماد فقد اظهرته لنا الروايات خارجاً الى اهل الكوفة ، يعرفهم الاشعار التي ادخلها في أشعار الناس[٢٥] . اما المفضل الضبي ، فقد أظهرته الروايات وهو غير راض عن حماد غير مطمئن الى روايته ، فقد عزي اليه قوله : « قد سُلِّط على الشعر من حماد ما أفسده »[٢٦] ، هذه اقوال مفتعلة وغريبة . وليس لها قيمة علمية ، فلا يعول عليها دارس جاد . ولا يطمئن الى صحتها باحث محقق ، وقد كفانا الدكتور ناصر الدين الاسد مؤونة تفنيد الكثير منها وابطالها[٢٧] .

اشرت الى ان الرواة العلماء الذين عاصروا حماداً كانوا يجلونه ويثقون كل الثقة بروايته . ومن اولئك العلماء المفضل بن محمد الضبي الكوفي . وقد ساق ابو الفرج الاصفهاني قصة طويلة للمفضل مع حماد الراوية مؤداها ان عدة من الرواة والعلماء بايام العرب وأدابها واشعارها ولغاتها اجتمعوا في دار الخليفة المهدي بعيسا باذ وان المفضل دعي الى ذلك الاجتماع او تلك الندوة ثم لم يلبث ان خرج ومعه حماد ، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط كما تقول الرواية ثم خرج حاجب الخليفة المسمى حسين الخادم ، فنادى قائلًا : يا معشر من حضر من أهل العلم ، ان أمير المؤمنين يعلمكم انه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين الف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في اشعار الناس ما ليس منها . ووصل المفضل بخمسين الفاً لصدقه وصحة روايته وسبب ذلك ان الخليفة المهدي قال للمفضل لما تحادث معه متفرداً إني رأيت زهير بنَ أبي سلمى افتتح قصيدته بقوله :

دع ذا وعد القول في هرم .... ولم يتقدم له قبل ذلك قول

فما الذي امر نفسه بتركه ؟ . فقال له المفضل الضبي : ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً الا اني توهمته كان يفكر في قول يقوله أو يروي في ان يقول شعراً ، فعدل عنه الى مدح هرم ، وقال : دع ذا . أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال : دع ذا ، اي ، دع ما انت فيه من الكد ، وعد القول في هرم . فامسك عنه الخليفة ثم استدعى حماداً . فساله عن مثل ما سال عنه المفضل ، فقال حماد : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف قال : فانشده :

لمن الديار بقُنَّةِ الحِجْرِ
اقوين مذ حِجَجٍ ومذ دَهْرِ
لعب الرياحُ بها وغيرها
بعدي سوافي المور والقَطْرِ
تفرأ بمتدفِع النحائث من
ضَفُوى اولات الضال والسُدْرِ

وتقول الحكاية ان الخليفة لما شك في امر الابيات ، استحلف حماداً في شانها ، فاقر له حينئذ بانه قائلها ، فامر فيه وفي المفضل بما أمر[٢٨] ، وكان الدكتور ناصر الدين الاسد قد فند

هذه الرواية مبيناً ان وفاة حماد كانت قبل ان يتولى المهدي الخلافة بنحو ثلاث سنوات من جهة . ومن جهة اخرى فان المهدي لم يبن داره في عيساباذ الا بعد وفاة حماد بنحو تسع سنوات[٣٩] . واذا صرفنا النظر عما ورد في كتاب الاغاني في هذا الشأن ، فاننا لم نجد احداً من العلماء شك في ان الابيات الثلاثة التي تصدرت القصيدة هي جزء من قصيدة مشهورة لزهير وقد اثبتها الاعلم الشنتمري في شرحه لديوان الشاعر[٤٠] واثبتها لزهير ايضاً هبة الله بن الشجري فيما اختار من اشعار العرب[٤١] ، ومعروف ان الاعلم اعتمد رواية الاصمعي في روايته لديوان زهير . فالاصمعي اذاً كان قد روى الابيات التي اتهم حماد بنظمها والحاقها بقصيدة زهير[٤٢] .

لقد إطمئن بعض القدماء ممن جاء بعد أبي الفرج الى روايته ووثق بأن المفضل الضبي وصم حماداً بالكذب ، واطمأن الى تكذيب المفضل لحماد الراوية بعض الفضلاء من الباحثين في زماننا . فالشريف المرتضى في أماليه يقول : « وكان حماد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ، ودسه في اشعارهم ، حتى ان كثيراً من الرواة قال ، قد افسد حماد الشعر ، لانه كان رجلًا يقدر على صنعته ، فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشكل طريقته ، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم . وهذا الفعل منه وان لم يكن دالًا على الالحاد ، فهوفسق وتهاون بالكذب في الرواية »[٤٣] .

ولا نريد ان نعقب على كلام الشريف المرتضى بغير ان نقول : ان من نسب اليه بان حماداً افسد الشعر هو المفضل الضبي وليس « كثيراً من الرواة » هذا اذا صح ما نسب الى المفضل من قوله هذا في حماد . اما القول بان حماداً يقول شعراً يشاكل الشعر العربي القديم ، فيدس في شعر كل شاعر من القدماء ما يشبه شعره ، فسنناقشه في موضع اخر من هذا البحث .

وكما لم تتضح معالم صورة رواية حماد للشعر للشريف المرتضى ، لم تتضح ايضاً للاستاذ يعقوب بكر في قوله : « فاما قول المفضل وقول يونس بن حبيب ، فاننا نقف منها موقف الحذر فقد كان المفضل معاصراً لحماد والمرء لاينصف معاصره في اغلب الاحيان ولا سيما اذا كانا من صناعة واحدة »[٤٤] . ولا توافق الدكتور يوسف خليف على قوله : « ان المفضل خصم حماد اللدود ومنافسه الاكبر »[٤٥] ، ولا نتفق مع الدكتور ناصر الدين الاسد فيما ذهب اليه من « ان بين المفضل وحماد منافسة شديدة وربما بلغت حد الخصومة والاتهام »[٤٦] . فالراجح لدينا ان المفضل روى عن حماد الشعر ، وانه كان يثق به ويجله . ليس ذلك حدساً او تخميناً ، فان الاعرابي الذي هو تلميذ المفضل وربيبه ـ اذ المفضل زوج امه ، وقد تربى في بيت المفضل يقول في صدد قصيدة لزهير بن ابي سلمى : « لم يروها المفضل من كتاب حماد »[٤٧] وهذا يعني ان المفضل الضبي كان روى قصائد سواها من كتاب حماد ، وحين اراد الخليفة المهدي ان يعرف شيئاً عن أسرة حماد وحالها بعد وفاة حماد سأل المفضل الضبي بقوله : « ما فعل عياله . ومن اين يعيشون ؟ »[٤٨] . وهذا يدل على وجود صلة بين المفضل وحماد ربما كانت صلة التلمذة . لقد كان حماد رأس الرواة الكوفيين وشيخهم الكبير في عصر بني أمية ثم أصبح المفضل شيخ الرواة الكوفيين في عصر بني العباس ، فحماد راوية الامويين . والمفضل راوية العباسيين فليس ثمة منافسة ولاخصومة ولا اتهام بين العالمين .

ومن الرواة العلماء الذين رووا عن حماد الاصمعي وكان له منهج في الرواية يقوم على التضييق والتشديد قال فيه ابو الطيب اللغوي انه كان (يضيق ولايجوز الا افصح اللغات ويلج في ذلك ويمحك)[٤٩] ، وكان لا يروي من شعر الاغلب الا قصيدتين ونصف[٥٠] ، ويحجم عن رواية شعر أبي دؤاد الايادي وعدي بن زيد لأن الفاظهما ليست نجدية[٥١] . كان الاصمعي تلميذاً مخلصاً لخلف الاحمر كثير الثقة به شديد التعويل على روايته . وقد بسطت ذلك في بحث لي عنوانه « خلف الاحمر راوياً »[٥٢] وكان خلف الاحمر كما هو معروف تلميذا مخلصاً لحماد الراوية . وواضح ان رواية الاصمعي موصولة برواية حماد . قال ابو الطيب اللغوي في الاصمعي وعلاقته بحماد : « وروى عنه الاصمعي شيئاً من الشعر »[٥٣] ، ولا عجب فقد كان حماد شيخاً لشيخ الاصمعي خلف الاحمر . واعتقد ان الاصمعي لم يكن مختلفاً عن استاذه خلف في الثقة برواية حماد للشعر والاطمئنان الى صحتها ، فاستمع اليه يقول موثقاً روايته لشعر امرىء القيس « كل شيء في ايدينا من شعر امرىء القيس هو عن حماد الانتف سمعتها من الاعراب وابي عمرو بن العلاء »[٥٤] ، فهذه المقولة تؤكد ان الاصمعي كان موثقاً لحماد متمسكاً بروايته . ولكننا نصطدم بموقف اخر للاصمعي من حماد وهو قوله : « جالست حماداً فلم اجد عنده ثلاثمائة حرف . ولم ارض روايته »[٥٥] . اما ان الاصمعي لم يجد عند حماد ثلاثمائة حرف اي لم يجد ثلثمائة لفظ صحيح او تركيب فصيح مروي عن الاعراب فهو باطل . فحماد مشهود له بسعة الرواية وكثرة الحفظ والشق الاخير من كلام الاصمعي ـ ان صح له هذا الكلام ـ فيه غمز لحماد واتهام بالتزيد والتزوير . واظن

ان طبيعة العلاقة بين الاصمعي وحماد او نمطها كما نتصورها لا تجعلنا نصدق ان الاصمعي حقاً قال هذا الكلام او اطلق مثل هذا الاتهام . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الذي روى قول الاصمعي المذكور هو ابو حاتم السجستاني الذي ستتضح لنا عصبيته على علماء الكوفة . ولا اعتقد ان للاصمعي مع حماد صحبة مشهورة او تلمذة طويلة . وإنما الراجح على سواه ان الاصمعي ـ وكان حدثاً في حياة حماد ـ تهيأ له ان يحضر طرفاً من مجالس حماد . فاخذ عنه شيئاً من الشعر كما يقول ابو الطيب اللغوي .

هل ألف حماد كتاباً او خلف أثراً ؟

لا تعدد المصادر بما يعيننا على معرفة مصادر حماد في الرواية بيد اننا نستطيع ان نقول انها كانت تتمثل في شيوخه الذين حضر مجالسهم وحلقاتهم العلمية . وهؤلاء الشيوخ هم علماء القراءة والحديث الذين هم انفسهم علماء العربية فلم تكن علوم العربية منفصلة عن علوم الدين في الوقت الذي شب فيه حماد عن الطوق وسعى في اكتساب العلم والمعرفة . فابو عمرو بن العلاء ـ وهو معاصر لحماد ـ كان يذهب الى ابن ابي عقرب بصحبة شعبة بن الحجاج ، وكانا يجتمعان عنده يقول شعبة : « فاساله عن الحديث خاصة . ويساله ابو عمرو عن الشعر واللغة خاصة فلا أكتب شيئاً مما يساله عنه أبو عمرو . ولا يكتب ابو عمرو شيئاً مما أساله انا عنه »[٤٦] . من الممكن اذاً ان نستنتج ان حماداً اخذ الاشعار والاخبار او رواهما عن شيوخ العلم في القرن الثاني الهجري اولئك الشيوخ الذين لم يتخصصوا بفرع من فروع المعرفة ولم يقتصروا على ضرب من ضروب العلم .

اما المصدر الثاني الذي استقى منه حماد ، فيتمثل في اعراب البادية . وكان معاصرو حماد قد اخذوا اللغة عن البوادي فالخليل بن احمد الفراهيدي ويونس بن حبيب والكسائي جابوا الفيافي باحثين عن اللغة لغية صافية . فهل كان حماد مختلفاً عنهم في هذا الشان ؟ لا أظن ذلك ، بل ان ثمة رواية تفيد بأن بعض الاعراب كان يحضر حلقة حماد العلمية وان حماداً قد استنشده الشعر[٤٧] .

ومن مصادر حماد في العلم الكتب والمدونات . وكان حماد قد تحدث عن هذه المدونات فذكر ان المختار الثقفي عثر في الكوفة على اشعار مدونة ، كان يحتفظ بها ملك الحيرة النعمان بن المنذر . وكان النعمان قد امر بتدوين تلك الاشعار التي قيلت في مدحه وآل بيته ثم آلت هذه الاشعار او قسم منها الى آل مروان[٤٨] . ويبدو ان حماداً كان مطلعاً على تلك الدواوين . وكان يحتفظ بقدر منها . يبين ذلك قوله :

« أرسل الي الوليد بن يزيد بمئتي دينار . وأمر يوسف بن عمر بحملي اليه على البريد فقلت لا يسألني الا عن طرفيه : قريش وثقيف . فنظرت في كتابي قريش وثقيف . فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بلي . فأنشدته منها ما استحسنه »[٤٩] . وثمة رواية تفيد ان الوليد بن يزيد عندما رغب في تدوين اشعار العرب ، طلب من حماد ما لديه من الكتب والدواوين ثم ردها اليه[٥٠] . وهل استطاع حماد من هذه المدونات والكتب ومما سمع من الاعراب وما اخذ عن الشيوخ ان يصنف كتاباً ؟ . نعم . لقد ترك حماد بعد وفاته كتاباً وهو على وفق مناهج القدماء عبارة عن أمالي املاها على تلامذته بيد ان المصادر التي اهتمت بذكر كتب القدماء لم تشر الى كتاب حماد . بل ان ابن النديم يقول : « ولم ير لحماد كتاب ، وانما روى عنه الناس . وصنفت الكتب بعده »[٥١] ، لكننا لا نجد ابن النديم مصيباً فيما ذكر . فثمة اشارات عديدة الى كتاب حماد . فأبو العباس ثعلب يقول في صدد قصيدة لزهير بن ابي سلمى (ولم يروها المفضل عن كتاب حماد »[٥٢] ، وقد كان كتاب حماد بيد هشام بن محمد الكلبي . فحين اورد الكلبي قصيدة لعامر بن الطفيل . قال : « اصبتها في كتاب حماد خلاف روايتنا »[٥٣] . ثم أورد الرواية التي في كتاب حماد ووقع كتاب حماد بيد ابي حاتم السجستاني . فقد كان ابو حاتم نقل شيئاً من شعر الحطيئة من كتاب حماد وإضافة الى ما توافر لديه من شعر هذا الشاعر . قال ابو حاتم : « وفي كتاب حماد الراوية زيادة بعد هذا البيت اربعة ابيات »[٥٤] . وقال في موضع اخر في صدد قصيدة اخرى للحطيئة : « هذا آخرها . وفي كتاب حماد الراوية زيادة من هذا الموضع بيتان »[٥٥] . وقد اشار ابو الفرج الاصفهاني الى كتاب حماد حين تحدث عن اخبار كسرى اذ يظهر ان كتاب عن اخبار كسرى قد احتوى على مادة اخبارية في صدد ملوك الفرس[٥٦] ، وفي وسع المتتبع ان يستنشف من قراءة لشرح ابي العباس ثعلب لديوان زهير بن ابي سلمى ان كتاب حماد كان تحت تصرف ثعلب[٥٧] ، وثعلب هو تلميذ ابن الاعرابي وابن الاعرابي تلميذ المفضل وهكذا كان الكتاب ينتقل من الشيخ الى التلميذ . وبعد وفاة حماد كان كتابه عمدة الرواة والمصنفين من بصريين وكوفيين يأخذون منه ما يحتاجون اليه من الاشعار والاخبار عن ثقة به واطمئنان اليه وكان ابو حاتم السجستاني من اشد المتعصبين على علماء الكوفة . وكان يجنح الى الطعن بحماد والانتقاص من

روايته ببيدانه به يف ان لا مناص له من الاطلاع على رواية حماد للاشعار والرجوع اليها ففي صدد قصيدة للحطيأة وجد ابو حاتم في كتاب حماد ابياتاً لم يطلع عليها او لم يعرفها فاضطر الى تدوينها بيد انه قال : « كتبتها ليعرف المصنوع »[٢٨] ، وفي صدد قصيدة اخرى وجد في كتاب حماد زيادة مقدارها بيتان على ما تهيأ لديه منها . فاضاف البيتين الى ما توافر لديه من ابيات القصيدة ، ثم قال : « هما مصنوعان مردودان »[٢٩] ، وهكذا وقع أبو حاتم في تناقض شنيع فهو يتمم ما لديه من نقص في الاشعار بالاخذ من كتاب حماد ، ثم يقول بعد ذلك : ان ما اخذه وضمه الى روايته مصنوع او مردود .

بقيت مسألة القصائد السبع التي اختارها حماد وعرفت بالسبع الطوال او المعلقات السبع . فبعد الذي عرفناه من وجود كتاب لحماد ، يحتوي على اشعار العرب ، لا نستبعد ان تكون هذه القصائد مما احتواه كتاب حماد . نعم يمكن ان تكون السبع الطوال جزءاً او قسماً من ذلك الكتاب الشهير ، وقد لفت هذا الجزء من الكتاب اهتمام من جاء بعد حماد من العلماء والرواة والشراح الذين اعجبوا باختيار حماد هذا ، اما بقية اقسام او اجزاء الكتاب وفصوله فلم يتهيأ لها ما تهيأ لقسم الاختيارات من يعنى بها ويحافظ عليها من الضياع والبعثرة . وهكذا وصل الينا القسم المهم من كتاب حماد المعروف بـ« السبع الطوال » من خلال الشروح كما هو شان كتاب الحماسة لابي تمام الذي لم يصل الينا الا من خلال شروحه لقد توالت الشروح حول الجزء المسمى بـ« السبع الطوال » او « القصائد السبع » من كتاب حماد واهتم اللغويون والنحويون بهذه القصائد الطويلة واجدير فيها مادة يدرسون من خلالها اللغة العربية في نحوها وغريبها وبلاغتها . ونسي الكتاب الاصل الذي يبدو ان حمادا ضمنه الاخبار والاشعار والانساب والايام المتصلة بالحياة العربية قبل الاسلام .

حقيقة الروايات التي تتهم حماداً بنحل الشعراء شعر سواهم والزيادة في الاشعار :

تقدم الكلام على عدم صحة ما قيل من ان حماداً زاد ثلاثة أبيات على قصيدة لزهير بن ابي سلمى وجعلها في مقدمة تلك القصيدة . وقد بينا زيف هذه الرواية التي وصفت لقاء بين حماد والمفضل الضبي في قصر من قصور الخليفة المهدي وان المفضل هو الذي كشف الزيادة التي الحقها حماد بقصيدة زهير ، وثمة كلام اخر عن نحل حماد الشعراء المتقدمين شعر غيرهم سوى تلك القصة المفتعلة ، فقد نقل ابن سلام عن يونس بن حبيب ان حماداً وفد على بلال بن ابي بردة والي البصرة لعهد هشام بن عبد الملك فانشد بلالاً قصيدة للحطيأة يمدح فيها جد بلال ابا موسى الاشعري وتذكر الرواية ان الوالي فطن الى ان القصيدة ليست للحطيأة اذ انه كان يروي شعر الحطيأة ، فقال لحماد : ويحك يمدح الحطيأة ابا موسى ولا اعلم به . وانا اروي شعر الحطيأة ولكن دعها تذهب في الناس[٣٠] . وقد رأى الدكتور ناصر الدين الاسد ان ما رواه ابن سلام عن يونس في صدد وضع حماد لتلك القصيدة ونحلها الحطيأة مردود من جهتين اولاهما ان ابا الحسن المدائني ذكر « انها صحيحة قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو » ، والثانية ان العلماء الذين جمعوا ديوان الحطيأة وشرحوه بعد حماد اثبتوا هذه القصيدة في ديوانه ، ولم يأخذوا بالرأي الذي اورده ابن سلام عن يونس . فابن حبيب روى القصيدة عن ابن الاعرابي وعن ابي عمرو الشيباني معاً واثبتها السكري عن ابن حبيب في شرحه لديوان الحطيأة[٣١] . وثمة رواية تذكر ان حماداً قدم على بلال بن ابي بردة وكان عنده الشاعر ذو الرمة . فانشده حماد شعراً يمدحه به على انه من نظمه . فقال بلال لذي الرمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيد ، وليس له . قال فمن يقوله ؟ قال : لا أدري ، الا انه لم يقله . وتمضي الرواية مظهرة حماداً ، وهو يعترف بكذبه ويقر بان الشعر الذي انشده ليس له ، وانما قاله « بعض شعراء الجاهلية وتقول الرواية : قال حماد : « وهو شعر قديم وما يرويه غيري »[٣٢] وليس من شك في ان الاضطراب في هذه الرواية لا يخفى على ذي نظر او بصر . فهل بلغ حماد هذه الدرجة من الحماقة حيث يمدح الوالي بقصيدة جاهلية وامام ذي الرمة الشاعر الراوية للشعر الجاهلي ويدعي انها من نظمه وما الذي يدفعه الى هذا التزوير وقد عرفنا كيف كان مقصد طلاب الادب والشعر وكيف ان خلفاء بني امية كانوا يدنونه منهم ويحيطونه بالرعاية والتكريم مستمعين الى ما يروي من اشعار العرب واخبارها وسيرها .

ذكر ابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد قسماً من الروايات التي تتهم حماداً بالزيادة في أشعار القدماء ، فقد قال : « وكذلك كان يفعل حماد الراوية يخلط الشعر القديم بابيات له » ، وقال ابن عبد ربه بعد ذلك : « قال حماد : ما من شاعر الا قد زدت في شعره ابياتاً فجازت عليه الا الاعشى أعشى بكر ، فاني لم أزد في شعره قط غير بيت ، فافسدت عليه الشعر . قيل له : وما البيت الذي ادخلته في شعر الاعشى ، فقال :

وانكرتني وما كـان الذي نكـرتْ
من الحـــوادث الا الشيبَ والصُلَفا[٣٣]

بيد ان المشهور المعروف ان الذي زاد في شعر الاعشى بيتاً . واعترف بهذه الزيادة هو ابو عمرو بن العلاء لا حماد الراوية . فقد قال ابو عبيدة معمر بن المثنى تلميذ ابي عمرو بن العلاء : « ان بشاراً اعلم الناس بالشعر والفاظ العرب ، قال لي وقد انشدني اول هذه القصيدة للاعشى ، فمر هذا البيت : وانكرتني ... : كان هذا ليس من لفظ الاعشى . وكان قوله هذا قبل ان اسمع هذا من قبل ابي عمرو بعشرين سنة »[٦٤] ، وقال يونس بن حبيب التلميذ الاخر لابي عمرو بن العلاء : « سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول : ما زدت في أشعار العرب الا هذا البيت :

وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا »[٦٥]

وقال ابن جني : « حدثنا بعض اصحابنا يرفعه . قال ابو عمرو بن العلاء ـ رحمه الله ـ ما زدت في شعر العراب الا بيتاً واحداً . يعني ما يرويه للاعشى من قوله :

وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا[٦٦]

وقال ابن خالويه : « حدثنا ابن مجاهد وغير واحد ، ان ابا عمرو بن العلاء قال : ما زدت في شعر العرب الا بيتاً واحداً في قوله الاعشى :

وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا

وما قرأت حرفا في كتاب الله الا باثر ، الا قوله عز وجل « وأملي لهم » فوجدت الناس قد سبقوا اليه »[٦٧] ، فما ذكره ابن عبد ربه إذاً باطل .

بقيت حكايتان تتحدثان عن عدم امانة حماد في رواية الشعر وعزوه الى اصحابه وعدم دقته وقلة تحريه : عزيت احداهما الى ابي عمرو بن سعيد بن وهب الثقفي ، وهي انه سأل حماداً ان يملي عليه قصيدة لاخواله بني سعد بن مالك ، فاملى عليه حماد شعراً نسبه الى طرفة ، وهو لاعشى همدان[٦٨] ، وتتمثل الثانية فيما رواه سعيد بن هريم البرجمي عمن يثق به (كذا) من ان اعرابياً انشد حماداً قصيدة لم تعرف ولم يدر لمن هي ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة[٦٩] ، ولا نرتاب في ان هاتين الحكايتين لا تختلفان عما أوردناه من حكايات وقصص افرزتها الحزازات والعصبيات وروح التحاسد بين المتنافسين المتعاصرين من الرواة ولا يمكن للباحث ان يعول عليها او يعتمدها لانها لا تساوي شيئاً في معيار البحث العلمي .

هل كان حماد شاعراً ؟

لم يشتهر حماد شاعراً قدر شهرته راوياً للشعر . وقد نظم الشعر ، لكنه لم يبلغ فيه مبلغ الشعراء الكبار . فالمقطوعات البضع التي وصلت الينا من شعره لا تدل على موهبة شعرية ولا نستطيع من خلالها ان نتحدث عن شاعريته . وقد اطلع القدماء على شعره فرؤوا انه لم يكن متفوقاً فيه[٧٠] ، واورد له ابو الفرج الاصفهاني قوله[٧١] :

تنكر من سعدى واقفر من هند
مقامها بين الرغامين فالفرد
محل لسعدى طالما سكنت به
فاوحش ممن كان يسكنه بعدي

ومن شعره ما كتبه الى بعض رؤساء الاشراف وهو قوله :

ان لي حاجة فرأيك فيها
لك نفسي فدى من الاوصاب
وهي ليست ما يبلغها غير
ي ولا يستطيعها في كتاب
غير اني اقولها حين القـ
ـاك رويدا امرها في حجاب

فكتب اليه الرجل : اكتب الي بحاجتك ، ولا تشهرني في شعرك فكتب حماد[٧٢] :

انني عاشق لجبتك الدكناء عشـ
ـقاً قد حال لون الشراب
فاكسنيها فدتك نفسي واهلي
اتباهى بها على الاصحاب
ولك الله والامانة ان ادخر
ها عمرها اميرُ ثيابي

وثمة رواية تظهر حماداً شاعراً محترفاً يقصد الولاة بشعره مادحاً اياهم نائلاً من عطاياهم ما يناله الشعراء المداحون من اموال ممدوحيهم تقول هذه الرواية ان حمادا قصد خالد بن عبد الله القسري أيام ولايته على العراق ومدحه بقصيدة نال بها مالاً من الوالي ، منها قوله :

لا تعذليني سلمى اليوم وانتظري
ان يجمع الله شملاً طالما افترقا

ان شتّت الدهر شملاً بين جيرتكم
فطال في نعمة يا سلم ما اتفقا
وقد حللنا بقسري اخي ثقة
كالبدر يجلو دجى الظلماء والافقا
لا يجبر الناس شيئاً ماضه اسد
يوماً ولا يرتقون الدهر ما فتقا
كم من ثناء عظيم قد تداركه
وقد تفاقم فيه الامر وانخرقا

ولكن رواة الكوفة ومنهم ابو عمرو الشيباني يروون هذه الابيات لقيس بن الحدادية في مدح أسد بن كرز[٧٠] الذي أواه وأحسن اليه ، بيد ان اغرب ما نجده في صدد شاعرية حماد رواية وردت في كتاب الاغاني ايضاً تظهر حماداً شاعراً كبيراً متفوقاً في الشعر محسناً له ، فقد أورد ابو الفرج الاصفهاني قول المفضل الضبي في شاعرية حماد : « فلا يزال يقول الشعر ، يشبه به مذهب رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الافاق ، فتختلط باشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، واين ذلك ! »[٧١] ، وقد سبق ان اوردنا قصة قدوم حماد على بلال بن ابي بردة والي البصرة ، وكيف ان حماداً انشده شعراً على انه من نظمه ، يمدحه به ، وكان ذو الرمة حاضراً في مجلس بلال ، فنبه الوالي على ان الشعر ليس لحماد ، وانه « لم يقله » . وهذا امر مستبعد لان حماداً لم يقصد الخلفاء والولاة شاعراً بل قصدهم راوياً وناقداً للشعر وعالماً في الايام والانساب واللغات لغات العرب ، وكان له في هذه المعارف التي يحسنها مندوحة عن ان ينظم الشعر ، يمدح به ولاة الخلفاء .

اما تقويم المفضل الضبي لشعر حماد ، فهو مما وضع على لسان المفضل ، وقد سبق ان بينا ذلك . لم يكن حماد بذلك المستوى العالي الرفيع في قرض الشعر وتعاطيه ولم يعرف عنه انه كان ينهج نهج الشعراء القدماء ، وينسج على منوالهم ، فلم يبرز في الشعر من العلماء الرواة والنحويين اللغويين غير خلف الاحمر الذي كان « احد الشعراء المحسنين ، ليس في رواة الشعر احد أشعر منه »[٧٢] ، وكان خلف كما يقول هارون بن علي المنجم « يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر ان يشبه شعره بشعر القدماء حتى يشتبه ذلك على جلة الرواة ، ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم »[٧٣] ، لم يكن حماد إذاً « يقول الشعر ، يشبه به مذهب رجل ، ويدخله في شعره ويحمل عنه ذلك في الافاق ، فتختلط باشعار القدماء »[٧٤] ، فكأن خلطاً قد حصل بين شعر خلف وشعر حماد فانسحبت الاحكام التي قيلت في صدد شعر خلف على شعر حماد ، فالذي كان ينظم شعراً شبيهاً بشعر القدماء هو خلف لا حماد . وقد اورد ابن طيفور في كتابه « المنظوم والمنثور[٧٥] لخلف قصيدة تبلغ سبعين بيتاً ، يجري فيها خلف على نمط القدماء كما ذكر ذلك مؤرخو الادب ورواته . فوصف شعر حماد بانه يشبه شعر القدماء امر مرفوض او انه في الاقل لا دليل عليه .

نقد حماد للشعر :

لم يكن حماد راوياً للشعر فقط ، بل كان ناقداً له ، وشهرته في نقد الشعر لم تكن باقل من شهرته بروايته ، وشان حماد هنا مثل شان معاصريه من العلماء الرواة واللغويين النحويين كابي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والكسائي وخلف الاحمر والمفضل الضبي والاصمعي وغيرهم فكان هؤلاء العلماء ينقدون قصائد الشعراء في المجالس التي يقيمها الخلفاء والولاة للاستماع الى الشعراء وهم يمدحونهم او في المجالس والحلقات العلمية في المساجد وكان لنقدهم اثر كبير في سيرورة شعر الشاعر : فمن نوهوا به ، طارت شهرته وذاع صيته . فلذلك حرص الشعراء على معرفة رأي هؤلاء النقاد في شعرهم فسموا الى لقائهم واسماعهم قصائدهم قبل القائهم اياها في محافل الخلفاء والولاة وكان لحماد شان كبير ومنزلة مرموقة في النقد وقدرة على تقويم القصيدة وعلى ابداء الرأي الصريح في شانها من غير استرضاء للشاعر او اطراء في غير محله . فالطرماح بن حكيم الذي كان معجباً بحماد الراوية كما أشرنا الى ذلك من قبل نظم قصيدة ، فرأى ان يعرضها على ناقد للشعر ، فالتجا الى حماد وانشده إياها ، لكنه خرج من عنده غير راض عنه متهماً اياه ـ بعد اخفاقه في امتاع الناقد ـ بانه رام ادعاءها لنفسه[٧٩] . وعرض ابو الغول النهشلي ، وهو علباء بن جوشن ، شعراً له على حماد ، لكن نقد حماد لشعر ابي الغول لم يكن ساراً للشاعر فانقلب الشاعر على الناقد يهجوه بقوله[٨٠] :

نعم الفتى لو كان يعرف به
ويقيم وقت صلاته حماد
هدلت مشافره الدنان فانفه
مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه
فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبنك بزه وثيابه
ان اليهود ترى لها اجلاد

حمـــاد يـــا ضبعـــاً تجـــر جعـــارهـــا
أخنى لهـــا بـــالقـــريتين جـــراد
سبعـــا يـــلاعبهـــا ابنهـــا وبنـــاتهـــا
ولهـــا من الخـــرق الكبـــار وســـاد

وثمة شاعر لم يذكر اسمه قصد حماداً عارضاً عليه شيئاً من شعره . بيد ان حماداً رد الشاعر منكراً ان تكون القصيدة التي عرضها عليه من نظم ذلك الشاعر فجعل الشاعر يهجو حماداً بقوله[٨٩] :

سيعلم حمـــاد اذا مـــا هجـــوتـــه
أأنتحـــل الاشعـــار ام انـــا شـــاعـــر
الم تـــر حمـــاداً تقـــدم بطنـــه
واخـــر عنـــه مـــا تجن المـــآزر
فليس بـــراء خصيتيـــه ولـــو جثـــا
لـــركبتـــه مـــا دام للـــزيت عـــاصـــر
نيـــا ليتـــه أمسى قعيـــدة بيتـــه
لـــه بعـــل ضـــق كـــومـــه متـــواتـــر
فحمـــاد نعم العرس للمرء يبتغي الـ
نكـــاح وبئس المـــرء فيمن يفـــاخـــر

ولا عبرة فيما ذكر في هذا الصدد من ان حماداً هو الذي طلب من الشاعر ان يهجوه ليكتشف قدرته على النظم ان كان شاعراً قادراً على نظم الشعر .

ويظهر ان الخلفاء الامويين كانوا يعتمدون تقويم حماد لشعر الشعراء الذين يقصدونهم مادحين ، فيحضرونه الى مجالس الشعر ، ليستمعوا الى رأيه فيما ينشد في هذه المحافل الرسمية . ويذكر الشاعر مروان بن ابي حفصه انه وفد مع جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد ، فوجد عنده رجلاً كلما انشد شاعر شعراً ، وقف على البيت والبيت من شعره قائلاً : هذا أخذه من موضع كذا وكذا . وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان حتى اتى على اكثر الشعر . قال مروان : فقلت : من هذا ؟ فقالوا حماد الراوية[٩٠] . فقد كان حماد إذاً يمارس النقد التطبيقي القائم على الموازنات وتبيان مدى تاثر الشاعر بالموروث من الشعر ومدى اقتفائه خطى غيره او قدرته على التوليد والابتكار في المعاني والتجويد في الاساليب ولذلك فان ما نسب الى المفضل من ان حماداً « عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم »[٩١] ، صحيح من حيث المضمون . وكان الذي عزا هذا القول الى المفضل الضبي كان على علم بمعرفة حماد العميقة لمذاهب الشعراء معانيهم ، فوصف حماداً هذا الوصف ، ثم اسنده الى المفضل ، ليتوّلَ المفضل بعد ذلك في حماد ما لم يقله تلميذ في استاذ من طعن وتجريح .

كان النقد في عصر حماد يتجه الى البيت لا الى القصيدة عامة فاحسن الشعراء احسنهم بيتاً ومثلاً شارداً . فبراعة الشاعر وجودة شعره تتمثل عند المرزوقي في « ان يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر الى غيره الا مايكون مضمناً باخيه . وهو عيب فيه »[٩٢] . والشاعر المفضل عند النقاد وعلى وفق قواعد عمود الشعر من « كثرت سوائر امثاله وشوارد ابياته »[٩٣] . فالشاعر يحمد ان هو اتى ببيت يستقل في المعنى بنفسه ويحمد اكثر اذا كان شطر البيت الواحد مستقلاً عن شطره الاخر مستغنياً عنه وعلى اساس هذه النظرة الى الشاعر وشعره كان حماد يقدم النابغة الذبياني على الشعراء المعاصرين له وقال مبينا سبب تفضيله النابغة على سواه : « ان تمثلت ببيت من شعره ، اكتفيت به . مثل قوله :

حلفت فلم اتـــرك لنفســـك ريبـــة
وليس وراء الله للمـــرء مـــذهب

وان تمثلت بنصف بيت من شعره ، اكتفيت به . وهو : وليس وراء الله للمرء مذهب . بل ان تمثلت بربع بيت من شعره ، اكتفيت وهو قوله : اي الرجال المهذب[٩٤] ورجح حماد شعر امرىء القيس على شعر سواه من شعراء الجاهلية ورجح ايضاً شعر ذي الرمة على شعر اقرانه من الشعراء الاسلاميين لما في شعر هذين الشاعرين من تصوير غني جميل ، قال : « امرؤ القيس احسن الجاهلية تشبيها وذو الرمة احسن الاسلام تشبيها .وما اخر القوم ذكره الا لحداثة سنه وانهم حسدوه »[٩٥] . ولاحظ حماد على شعر عمر بن أبي ربيعة ، وقد التقاه بمكة شيئاً من السمات المحببة من حيث رقة اللفظ وسهولة العبارة وقرب المأخذ فقال فيه : « ذلك الفستق المقشر »[٩٦] واعجب بشعر عبد الله بن قيس الرقيات . فقال في شانه : « اذا اردت ان تقول الشعر ، فأرو شعر ابن الرقيات ، فانه ارق الناس حواشي شعر »[٩٧] . وذكر انه كان معجباً بشعر الاحوص وانه يقدم هذا الشاعر على شعراء النسيب المعاصرين له[٩٨] . اما اختيار حماد من الشعر الذي عرف بالقصائد السبع ، فهو في حد ذاته عمل نقدي ، لان الاختيار قائم على موقف ومستند الى نظرة فلابد من وجود اسس بمقتضاها يقدم الشعر الذي وقع عليه اختيار الناقد ، ويؤخر الشعر الذي قيل في بابه او موضوعه حين لا يحظى من صاحب الاختيار بالالتفات

اليه والوقوف عنده فيكون هذا الشعر غير المختار ادنى مرتبةً من المختار على وفق ذوق الناقد ومقياسه او معياره لقد بحث حماد في تراث شعري ضخم ، وانتهى به البحث الى انتقاء سبع قصائد ، عدت من خيار الشعر ونفائسه . وهكذا كان حماد ناقداً كبيراً للشعر العربي فضلًا عن طول باعه في العلوم والمعارف الاخرى . وقد توفي رحمه الله سنة ١٥٥هـ او ١٥٦هـ[٣١] بعد نشاط علمي وأدبي كبير وخلف تراثا كبيراً ، تناقله تلاميذه من بعده . وكان اولئك التلاميذ معترفين بفضله مقدرين منزلته حق قدرها ، وهذا احدهم ـ وهو الشاعر الراوية محمد بن كناسة يرثيه بقصيدة يقول فيها:

ابعـــدت من نـــومـك الفـرار فمـا
جـــاوزت حيث انتهى بـــك القـــدر
لـــو كـــان ينجي من الـــردى حـــذر
نجـــاك ممـــا أصـــابـــك الحـــذر
يـــرحمـــك الله من اخ يـــا ابـــا
القـــاسم مـــا في صفـــائـــه كـــدر
فكهـــذا يـــذهب الـــزمـــان ويفنى
العلم منـــه ويـــدرس الاثـــر

رحم الله حماداً فقد خدم العربية خدمة جليلة واخلص لابنائها اخلاصاً لا ينكر .

هوامش البحث ومصادره

١ . الفهرست لابن النديم ١٠٤ . طهران ١٩٧١ تحقيق رضا تجدد . معجم الادباء لياقوت الحموي ٢٥٨/٩ بيروت ١٩٨٠ دار الفكر . وفيات الاعيان لابن خلكان ٢٠٦/٢ . بيروت ١٩٦٩ تحقيق الدكتور احسان عباس .

٢ . الفهرست ١٠٤ .

٣ . المعارف لابن قتيبة ٦٣٢ . طبقات النحويين واللغويين لابي بكر الزبيدي ١٩١ . القاهرة ١٩٨٤ تحقيق محمد ابي الفضل .

٤ . الفهرست ١٠٤ .

٥ . معجم الادباء ٢٦٦/٩ .

٦ . الاغاني لابي فرج الاصفهاني ٨٣/٦ . بيروت ١٩٦٠ نشرة دار الثقافة . تحقيق عبد الستار احمد فراج .

٧ . الاغاني ٨٧/٦ .

٨ . الاغاني ٦٨/٦ ، ٦٩ .

٩ . الاغاني ٦٨/٦ .

١٠ . الاغاني ٧٨/٦ .

١١ . الاغاني ٦٩/٦ .

١٢ . الاغاني ٩٠/٦ .

١٣ . الاغاني ٨٣/٧ ، ٢٨٥/٢١ « نشرة الهيأة المصرية العامة للكتاب ». وانظر في هذا الشان المفضل الضبي حياته وآثاره ١٢٦ رسالة ماجستير غير منشورة لزكي ذاكر العاني . بغداد ١٩٨٨ .

١٤ . طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٤٨/١ ـ ٤٩ ، القاهرة ١٩٧٤ ، تحقيق محمود محمد شاكر .

١٥ . الاغاني ٧١/٦ .

١٦ . مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي ٤٧ ، القاهرة ١٩٥٥ ، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم .

١٧ . الاغاني ٨٨/٦ .

١٨ . طبقات النحويين واللغويين ١٣٢ ، نزهة الالباء لابي البركات الانباري ٨١ . « باختلاف يسير » . الاردن ١٩٨٥ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي .

١٩ . طبقات النحويين واللغويين ١٩٤ .

٢٠ . نزهة الالباء ٨٣ .

٢١ . الفهرست ٦٤ .

٢٢ . مراتب النحويين ٩٠ « في المطبوع . من الثقات عنهم بدل منهم وهو خطأ نسخي

٢٣ . مراتب النحويين ٧٤ . معجم الادباء ١٩٠/٣ .

٢٤ . معجم الادباء ١٨٢/٣ ـ ١٨٣ .

٢٥ . مراتب النحويين ٤٧ .

٢٦ . الاغاني ٨٥/٦ .

٢٧ . مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الاسد ص٤٤٣ وما بعدها . القاهرة ١٩٧٨ .

٢٨ . الاغاني ٥٦/٦ ـ ٨٧ .

٢٩ . مصادر الشعر الجاهلي ٤٤٣ .

٣٠ . اشعار الشعراء الستة « شعر زهير » ٣٢٣ ، بيروت ١٩٨٣ . نشر دار الافاق الجديدة .

٣١ . مختارات ابن الشجري ٩/١ ، القاهرة ١٩٧٥ تحقيق علي محمد البجاوي .

٣٢ . انظر في هذا الصدد : مصادر الشعر الجاهلي ٥٠٤ ـ ٥٠٥ .

٣٣ . امالي الشريف المرتضى ١٣٢/١ ، القاهرة ١٩٥٤ تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم .

٣٤ . رأي جديد في حماد الراوية للاستاذ السيد يعقوب بكر ـ مجلة الرسالة المصرية في عددها ٦٤٣ وما بعدها لسنتها الثالثة عشرة ص١١٧٤ .

٣٥ . حياة الشعر في الكوفة للدكتور يوسف خليف ٢٧٩ . القاهرة ١٩٦٨ . .

٣٦ . مصادر الشعر الجاهلي ٤٤٤ ـ ٤٤٥ .
٣٧ . شرح ديوان زهير بن ابي سلمى لابي العباس ثعلب ٣١١ « وردت العبارة في نسختين من مخطوطة الشرح فجعلها المحقق في الهامش » .
٣٨ . قطب السرور في اوصاف الخمور للرقيق النديم ٣٠٧ دمشق ١٩٦٩ ، تحقيق احمد الجندي ، ربيع الابرار للزمخشري ٦٣٣/٢ ، بغداد ١٩٨٢ ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي .
٣٩ . مراتب النحويين ٤١ .
٤٠ . فحولة الشعراء للاصمعي ٢٥ ، القاهرة ١٩٥٣ تحقيق خفاجي والزيني . الموشح للمرزباني ٣٣٣ . القاهرة ١٩٦٥ تحقيق علي محمد البجاوي .
٤١ . الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٨٢/١ ، بيروت ١٩٦٤ تحقيق احمد محمد شاكر .
٤٢ . بحث غير منشور مقدم الى مجلة آداب المستنصرية .
٤٣ . مراتب النحويين ٧٢ .
٤٤ . مراتب النحويين ٧٢ .
٤٥ . مراتب النحويين ٧٥ .
٤٦ . المزهر للسيوطي ٣٠٤/٢ ، القاهرة تحقيق جاد المولى والبجاوي وابي الفضل .
٤٧ . مراتب النحويين ٧٢ .
٤٨ . طبقات فحول الشعراء ٢٥/١ . الخصائص لابن جني ٣٨٧/١ . القاهرة ١٩٥٢ تحقيق محمد علي النجار .
٤٩ . الاغاني ٨٩/٦ .
٥٠ . الفهرست ١٠٣ . مصادر الشعر الجاهلي ١٥٧ .
٥١ . الفهرست ١٠٤ .
٥٢ . شرح ديوان زهير ٣١١ (وردت العبارة في نسختين من مخطوطة الشرح) .
٥٣ . ديوان المفضليات بشرح ابي محمد الانباري ٣٣ .
٥٤ . مختارات ابن الشجرى ١٦/٣ .
٥٥ . مختارات ابن الشجرى ١٢/٣ .
٥٦ . الاغاني ٣١٩/١٧ ، القاهرة ١٩٦٣ ـ ١٩٧٤ نشرة دار الكتب .
٥٧ . شرح ديوان زهير لثعلب ٢٨٣ ، ٣١٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ .
٥٨ . مختارات ابن الشجرى ١٦/٣ .
٥٩ . مختارات ابن الشجرى ١٢/٣ .
٦٠ . طبقات فحول الشعراء ٤٨/١ .
٦١ . مصادر الشعر الجاهلي ٤٨٨ .
٦٢ . الاغاني ٨٦/٦ .
٦٣ . العقد الفريد لابن عبد ربه ١٢١/٦ ، بيروت ١٩٨٧ تحقيق د . عبد المجيد الترحيني .
٦٤ . مجالس العلماء للزجاجي ١٨٠ . القاهرة ١٩٨٣ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون .
٦٥ . حلية المحاضرة للحاتمي ٣٩/٢ ، بغداد ١٩٧٩ ، تحقيق الدكتور جعفر الكتاني .
٦٦ . الخصائص ٣١٠/٣ .
٦٧ . شرح مقصورة ابن دريد لابن خالويه ٥٢٢ ، حققه الدكتور محمود جاسم الدرويش ضمن كتابه : ابن خالويه وجهوده في اللغة ، بغداد ١٩٩٠ .
٦٨ . طبقات فحول الشعراء ٤٩/١ .
٦٩ . مراتب النحويين ٧٢ .
٧٠ . المصون في الاداب لابي احمد العسكري ٧٥ ، القاهرة ١٩٨٢ تحقيق عبد السلام محمد هارون .
٧١ . الاغاني ١٩٢/٥ .
٧٢ . الاغاني ٧٩/٦ .
٧٣ . الاغاني ١٤٢/١٤ .
٧٤ . الاغاني ٨٥/٦ .
٧٥ . إنباه الرواة للقفطي ٣٤٨/١ .
٧٦ . حلية المحاضرة ٢٧/٢ .
٧٧ . الاغاني ٨٥/٦ .
٧٨ . نشر الدكتور محسن غياض فصله من هذا الكتاب وسمت بـ« القصائد التي لامثيل لها » في بيروت سنة ١٩٧٧ .
٧٩ . الاغاني ٩٠/٦ .
٨٠ . الاغاني ٨١/٦ .
٨١ . الاغاني ٨١/٦ .
٨٢ . شرح ديوان الحماسة ١٨/١ ـ ١٩ .
٨٥ . الوساطة للجرجاني ٣٣ ـ ٣٤ .
٨٦ . حلية المحاضرة ٢٤٣/١ العمدة لابن رشيق ٢٨٢/١ .
٨٧ . خزانة الادب للبغدادي ١٠٧/١ ، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون .
٨٨ . العقد الفريد ١٢١/٦ . زانظر كذلك العقد الفريد ١٥١/٨ .
٨٩ . خزانة الادب للبغدادي ٢١٧/١١ .
٩٠ . طبقات فحول الشعراء ٦٦٨/٢ ، ٩١ . الفهرست ٤٠١ . وفيات الاعيان ٢٠٧/٢ . معجم الادباء ٢٦٦/٩ . سير اعلام النبلاء للذهبي ١٥٧/٧ ، بيروت ١٩٩٢ ، تاريخ الاسلام للذهبي ٥٦/٦ ، القاهرة . مكتبة القدسي .

*

ملف المرأة

ان المرأة العربية في بلادنا حفيدة النساء العربيات الخالدات اللواتي قاتلن مع الرجال بسالة وقدمن سيرة الحماسة والفخر وساكن في التراث الحضاري المجيد

الرئيس القائد

صدام حسين